

حروف المعاني وأثرها في التفسير دراسة تطبيقية
لحروف ("ما" و "من" و "إلى" والباء" و "أو")

د. عثمان المهدي صديق حاج بلال (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن حروف المعاني لها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، وتعتبر من الأتوات التي يحتاج إليها المفسر في تفسيره ولهذا كان اختياري لهذا البحث الموسوم بـ: حروف المعاني وأثرها في التفسير (دراسة تطبيقية لحروف "ما" و "من" و "إلى" و "الباء" و "أو") ولقد ركزت الدراسة التطبيقية على الحروف التي لها أكبر الأثر في تباين أقوال المفسرين وأرائهم.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وستة مباحث، ففي المبحث الأول تحدثت فيه عن حروف المعاني وتعريفها وتعدد معانيها، وفي المبحث الثاني تناولت معاني "ما" عند اللغويين وأثرها في التفسير، وضربت مثلاً لاختلاف آراء المفسرين بسببها، والمبحث الثالث خصصته لمعاني "من" عند اللغويين وأثرها في التفسير، وضربت مثلاً لاختلاف آراء المفسرين بسببها، والمبحث الرابع ذكرت فيه معاني "إلى" عند اللغويين وأثرها في

(*) أستاذ مشارك بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

التفسير وأوردت مثلاً لها، وفي المبحث الخامس كان لمعاني "الباء" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين وضربت مثلاً لاختلاف المفسرين بسببها، والمبحث السادس تناولت فيه معاني "أو" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين وأيضاً أوردت نماذج لها. ثم ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأله التوفيق والسداد والقبول.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

حروف المعاني وتعدد معانيها

المطلب الأول: تعريف حروف المعاني في اللغة والاصطلاح:

معنى الحرف في اللغة: قال في القاموس: "الحرف من كل شيء طرفه، وشفيره، وحده، والحرف من الجبل أعلاه المحدد"^(١).

ويطلق الحرف في الاصطلاح ويراد به أحد أمرين:-

الأول: أحد حروف التهجّي.

الثاني: ما يقابل الفعل والاسم في أقسام الكلمة، فالكلمة إما فعل أو اسم أو حرف، لأن الكلمة إن دلّت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم، وإن اقترنت بزمان فهي الفعل، وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف^(٢).

والحروف بالمعنى الثاني يطلق عليها حروف المعاني لأنها تدل على معنى وإن كان في غيرها، بخلاف حروف التهجّي فإنها لا تدل على معنى في نفسها ولا في غيرها^(٣).

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة "حرف" ص ٧١٩..

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/١٦.

(٣) انظر كشف الأسرار، شرح أصول البزدوي عبدالعزيز بن أحمد البخاري، شرح التلويح على التوضيح مسعود بن عمر التفتازاني، ١/١٨٧.

المطلب الثاني: تعدد معاني حروف المعاني

ترد حروف المعاني في الاستعمال لأكثر من معنى، فبعضها يستعمل في عشر معان^(١)، وبعضها يستعمل في أكثر^(٢) من ذلك، وبعضها في أقل^(٣).

وهذا التعدد للمعاني إما أن يكون بسبب الاشتراك، وذلك بأن يكون هذا الحرف وضع ابتداءً لهذه المعاني، وإما أن يكون حقيقة في أحدها مجازاً في الباقي، وإما أن يكون مشتركاً في بعضها أي حقيقة في أكثر من معنى، ويكون مجازاً في باقي المعاني. والناظر في كتب التفسير يرى أثر تعدد معاني هذه الحروف في اختلاف المفسرين، وذلك أن هذا التعدد إما بسبب الاشتراك وإما بسبب احتمال استعمال الحرف في الحقيقة أو المجاز.

وهذا الاحتمال والاشتراك يوجد عند المفسر تردداً في معنى الآية فيلجأ إلى الاختيار والترجيح بين هذه المعاني المتعددة.

المبحث الثاني

معاني "ما" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين

قال ابن السبكي: "ما" ترد اسمية، وحرفية، وموصولة، ونكرة موصوفة، واستفهامية، وشرطية زمانية وغير زمانية، ومصدرية كذلك، وناقية كذلك، وزائدة كافة وغير كافة^(٤).

(١) ك"قي" فإنها تستعمل في عشرة معاني. انظر معنى اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، (١٧٤).

(٢) كالباء فإنها تستعمل في خمسة عشر معنى. انظر معنى اللبيب (١١٠).

(٣) ك"إن" المكسورة المخففة فإنها تأتي على أربعة أوجه. انظر معنى اللبيب (٣٢).

(٤) انظر: جمع الجوامع مع تشنيف المسامع (٥٥٨/١).

بهذه الكلمات القليلة ذكر ابن السبكي في مختصر جمع الجوامع المعاني التي ترد عليها "ما" في اللغة العربية وفيما يلي بيان هذه المعاني مع الأمثلة التوضيحية:-
ترد "ما" في اللغة إما اسمية أو حرفية.

فالاسمية هي التي تكون لها موضع من الإعراب، ولها أقسام:-

الأول: أن تكون موصولة، وهي التي يصلح موضعها "الذي" كقوله تعالى:
﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(١).

الثاني: أن تكون نكرة موصوفة وهي التي تقدر بـ"شيء" كقولهم: "مررت بما
معجب لك" أي بشيء معجب لك.

الثالث: تعجبية نحو: ما أحسن زيداً.

الرابع: استفهامية، ومعناها أي شيء كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾^(٢).

الخامس: شرطية وهي نوعان زمانية وغير زمانية، فالزمانية كقوله تعالى: ﴿ فَمَا
أَسْتَفْتِمُوا لَكُمْ فَاسْتَغِيثُوا لَهُمْ ﴾^(٣)، أي استقيموا لهم مدة استفادتهم لكم وغير الزمانية
كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾^(٤).

وأما الحرفية فهي التي لا يكون لها محل من الإعراب، وهي أقسام كذلك:

الأول: المصدرية: وهي التي يكون ما بعدها في تأويل المصدر، وهي نوعان

زمانية وغير زمانية.

(١) سورة النحل الآية (٩٦).

(٢) سورة طه الآية (١٧).

(٣) سورة التوبة الآية (٧).

(٤) سورة البقرة الآية (١٩٧).

فالزمانية كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿ فَأَنقُو اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(٢).

وغير الزمانية كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٣).
الثاني: النافية. وهي عاملة وغير عاملة.

فإن دخلت على الجملة الاسمية عملت عند الحجاز والنجديين والتهاميين بأربعة شروط معروفة^(٤)، كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(٥).
أما عند غيرهم أو إذا لم تحقق شروطها عند أولئك فإنها لا تعمل كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾^(٦)،^(٧).
والبك مثلاً لأقوال المفسرين حول تعدد معاني "ما":

مثال أقوال: المفسرين في "ما":-

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(٨).

(١) سورة مريم الآية (٣١).

(٢) سورة التغابن الآية (١٦).

(٣) سورة التوبة الآية (١٢٨).

(٤) والشروط هي: (١) أن يكون اسمها مقدماً وخبرها مؤخرًا، (٢) أن لا يقترن الاسم بـ"إن الزائدة"، (٣) أن لا يقترن الخبر بـ"إلا"، (٤) ألا يليها معمول الخبر وليس هو ظرفاً ولا جار ومجروراً، انظر شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام (١٢٣) تحقيق محي الدين عبدالحميد.

(٥) سورة يوسف الآية (٣١).

(٦) سورة البقرة الآية (٢٧٢).

(٧) انظر معاني "ما" وأمثلتها في معنى اللبيب (٢٩٣) وما بعدها، البرهان في علوم القرآن (٤/٣٩٨٩).
الإتقان للسيوطي ((٦٠٠/٢)).

(٨) سورة النساء الآية (٢٢).

أقوال المفسرين في معنى "ما" في هذه الآية على قولين:-

القول الأول: "ما" اسم موصول بمعنى "من" وعليه فالآية تنهي المؤمنين عن نكاح زوجات الآباء وتكون (من النساء) متعلقة بالفعل نكح وهذا قول جماهير المفسرين من السلف والخلف^(١).

القول الثاني: "ما" مصدرية، فيكون معنى الآية لا تتكحوا من النساء نكاح آبائكم الباطل، وتكون "من النساء" متعلقة بالفعل "تتكحوا" وهذا اختيار شيخ المفسرين الإمام الطبري^(٢).

قد رجح الطبري اختياره بأنه لو كان المقصود من الآية النهي عن نكاح زوجات الآباء لقال: لا تتكحوا من نكح أبؤكم، وذلك لأن "من" تستعمل مع العاقل و"ما" تستعمل مع غير العاقل.

وقد استدلل القرطبي لمذهب الجمهور بأن "ما" تأتي بمعنى "الذي" و"من" واستدل على ذلك بأن الصحابة تلقت الآية على هذا المعنى.

وفي هذا يقول: "والأول أصح وتكون "ما" بمعنى "الذي" و"من" والدليل عليه: أن الصحابة نقلت هذه على ذلك المعنى ومنه استدلت على منع نكاح الأبناء حلائل الآباء، وقد كان العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة وكانت في قريش مباحة مع التراضي^(٣).

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣١/٢) الكشاف للزمخشري (٤٨٢/١)، أنوار التنزيل للبيهقي (١١٢/٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٠/٥)، البحر المحيط لابن حبان (٢٠٧/٣)، فتح القدير للشوكاني (٤٤٢/١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٩/١)، زاد المسير لابن الجوزي (٤٤/٢)، روح المعاني للألوسي (٢٤٨/٤)، الجواهر الحسان لطنطاوي الجوهري (٣٦٠/١).

(٢) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٣١٩/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٣/٥).

والطبري يوافق الجمهور على أن هذه الآية تحرم نكاح زوجات الآباء على الأبناء، إلا أن الجمهور يقولون بأن هذه الآية نص في المسألة والآية مساقفة لها، أما الطبري فإنه يقول بأنها تحرم ذلك تبعاً لنهايتها عن المناكح الفاسدة التي كان يفعلها الآباء ومن بينها نكاح زوجة الأب.

المبحث الثالث

معاني "من" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين

تأتي في اللغة العربية لمعان كثيرة عددها ابن السبكي بقوله: "من" لابتداء الغاية غالباً، وللتبويض، وللتبيين والتعليل والبدل والغاية وتنصيب العموم والفصل، ومرادفة "الباء" و"في" و"عند" و"على"^(١).

أي أن "من" تأتي على اثني عشر وجهاً في اللغة العربية هي: -

الأول: ابتداء الغاية وهو الغالب في استعمالها، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢). فقوله "من المسجد" أي ابتداء من المسجد.

الثاني: التبويض وهي التي يصلح مكانها "بعض" كقوله تعالى في الآية السابقة "من آياتنا" أي بعض آياتنا.

الثالث: بيان الجنس كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٣).

(١) جمع الجوامع لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، مع شرحه تشنيف المسامع للزركشي (٥٦١/١).

(٢) سورة الإسراء الآية (١).

(٣) سورة الحج الآية (٣٠).

الرابع: التعليل، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِآذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١).

الخامس: البدل، كقوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾^(٢).

السادس: الغاية، قال ابن هشام: قال سيبويه: (وتقول: رأيتك من ذلك الموضع، فجعلته غاية لرؤيتك أي محلاً للابتداء والانتهاء)^(٣).

السابع: تنقيح العموم، والمقصود به: أن تصبح الصيغة نصاً في العموم لا تحتمل غيره فإذا قلت: ما جاء رجل، فإن هذه الصيغة محتملة العموم وغيره، أما إذا قلت ما جاءني من رجل، فإن هذه الصيغة نص في العموم، أي لم يأتي أي رجل.

الثامن: الفصل، وهي الداخلة على ثاني المتضادين، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(٤).

التاسع: أن تأتي بمعنى "الباء" كقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾^(٥).

العاشر: أن تأتي بمعنى "في" كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرٌ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٦). ودل على أنها بمعنى "في" قوله: "وهو مؤمن".

الحادي عشر: أن تأتي بمعنى "عند" كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾^(٧).

(١) سورة البقرة الآية (١٩).

(٢) سورة التوبة الآية (٣٨).

(٣) انظر مغني اللبيب ص ٣١٦.

(٤) سورة البقرة الآية (٢٢٠).

(٥) سورة الشورى الآية (٤٥).

(٦) سورة النساء الآية (٩٢).

(٧) سورة آل عمران الآية (١٠).

الثاني عشر: أن تأتي بمعنى "على" كقوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^{(١)،(٢)}.

هذه هي الوجوه التي ذكرها ابن السبكي في مختصره.

وفيما يلي اذكر مثالا لاختلاف آراء المفسرين بسبب احتمال "من" لأكثر من معنى.

المثال: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾^(٣).

أقوال المفسرين حول هذه الآية:-

اختلف المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية في "الصعيد الطيب الذي يتيمم به" فاشتراط فريق منهم أن يكون تراباً له غبار حتى يتم نقل شيء منه عند التيمم، بينما لم يشترط آخرون ذلك بل قالوا: الصعيد الطيب هو كل ما كان من الأرض سواء أكان له غبار أم لا، حتى جوزوا التيمم على الصخر الأملس الذي لا غبار عليه.

ويرجع الخلاف بينهم إلى أسباب، منها اختلافهم في معنى "من" في "منه" في

الآية، هل هي للتبويض أم لابتداء الغاية؟

ومن المعلوم أن "من" في اللغة تطلق على معان كثيرة سبق ذكرها منها ابتداء

الغاية والتبويض.

ونجد في هذه المسألة قولين للمفسرين والفقهاء:

(١) سورة الأنبياء الآية (٧٧).

(٢) انظر معاني من في تشنيف المسامع (٥٦٠/١) وما بعدها، معنى اللبيب (٣١٣) وما بعدها، البرهان في علوم القرآن (٤/٤١٥)، الإتيان في علوم القرآن (٢/٦٠٤).

(٣) سورة المائدة الآية (٦).

الأول: "من" هنا للتبعيض، وهو مذهب الشافعي وأحمد وأبي يوسف^(١)، واختاره الطبري والزمخشري والبعوي والخازن والبيضاوي^(٢).

الثاني: "من" لابتداء الغاية. وهو مذهب أبي حنيفة ومالك^(٣)، واختاره الجصاص وابن العربي وأبو السعود والنسفي والألوسي^(٤).

وقد رجح كل فريق ما ذهب إليه بأدلة من اللغة والحدث تؤيد ما ذهب إليه، ليس هنا موضع ذكرها. وإنما الذي يهم هنا هو بيان تعدد معاني الحرف واحتماله لأكثر من معنى في اختلاف المفسرين.

المبحث الرابع

معاني "إلى" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين

تستعمل إلى في اللغة في معان عدة، منها: -

[١] انتهاء الغاية المكانية والزمانية، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ أَيْنَ نَأْتِيهِهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾^(٦).

(١) المغني لابن قدامة (١٥٥/١)، المجموع (١٤٦/٢)، أحكام القرآن للجصاص (٥٤٨/٢).

(٢) انظر جامع البيان (١٣٧/٦)، الكشاف (٥٠٥/١)، ومعالم التنزيل (٢٢/٢)، لباب التأويل (٢٢/٢)، أنوار التنزيل (١٤٢/٣).

(٣) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣٩/١)، أحكام القرآن لابن العربي (٨٠/٢).

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥٤٨/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٨٠/٢)، مدارك التنزيل (٣٣٣/١)، إرشاد العقل السليم (١١/٣)، روح المعاني (٨١/٦).

(٥) سورة الإسراء الآية (١).

(٦) سورة البقرة الآية (١٨٧).

- [٢] المعية، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ط
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(١).
- [٣] التبيين، وهي الميمنة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حبا أو بغضا من فعل تعجب أو اسم تفضيل، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢).
- [٤] بمعنى اللام، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^(٣).

- [٥] بمعنى "في"، كقوله تعالى: ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٤).
- [٦] التوكيد، وهي الزائدة، أثبتها الفراء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾^(٥). مستدلاً بقراءة بعضهم "تهوى" بفتح الواو، أي تهواهم^(٦)،^(٧) تهواهم^(٦)،^(٧).

المثل:

يقول الله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٨).

- (١) سورة آل عمران الآية (٥٢).
 (٢) سورة يوسف الآية (٣٣).
 (٣) سورة النمل الآية (٣٣).
 (٤) سورة النساء الآية (٨٧).
 (٥) سورة إبراهيم الآية (٣٧).
 (٦) انظر معاني القرآن للفراء (٨٧/٢).
 (٧) انظر معاني إلى في مغني اللبيب (٨٦)، والإتقان (٥٢٧/٢).
 (٨) سورة المائدة الآية (٦).

اختلف المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية عن حكم غسل المرفقين مع اليدين في الوضوء على قولين:-

القول الأول: يجب غسل المرفقين في الوضوء، وهو قول جمهور المفسرين وهو اختيار ابن عطية، الزمخشري، الجصاص، وابن العربي، والقرطبي، وابن كثير، والبغوي، والشوكاني، وابن الجوزي، وابن عاشور، والآلوسي، والخازن، والبيضاوي، والنسفي^(١).

القول الثاني: لا يجب غسلهما، واختاره من المفسرين، الطبري، وأبو حيان^(٢).

المبحث الخامس

معاني "الباء" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين

تأتي "الباء" في اللغة لأربعة عشر معنى وهي:-

- [١] الإصاق، كقولهم: أمسكت بزيد، وقولهم: مررت بزيد، فالأول إصاق حقيقي، والثاني إصاق مجازي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^(٣) عند بعضهم.
- [٢] التعدية، وتسمى "باء النقل" وهي التي تنقل الفاعل ليصير مفعولاً كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٤).
- [٣] الاستعانة، وهي الداخلة على آلة الفعل، كقوله تعالى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٥).

(١) انظر المحرر الوجيز (١٦٢/٢)، الكشاف (٥٩٨/١)، أحكام القرآن للجصاص (٣٢٠/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٥٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٦/٦)، تفسير القرآن العظيم (٢٥/٢)، معالم التنزيل (١٧/٢)، فتح القدير (١٧/٢)، زاد المسير (٣٠٠/٢)، التحرير والتنوير (١٣٠/٦)، روح المعاني (٧٠/٦)، لباب التأويل (١٨/٢)، مدارك التنزيل (٣٩٥/١)، أنوار التنزيل (٢٢٠/٣).

(٢) انظر: جامع البيان (١٣٤/٦)، البحر المحيط (٤٣٥/٣).

(٣) سورة المائدة الآية (٦).

(٤) سورة البقرة الآية (١٧).

- [٤] السببية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾^(٢).
- [٥] المصاحبة، وهي التي يصلح في موضعها "مع" أو تغني عنها وعن مصحوبها الحال، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣). أي مع الحق، أو: محققاً.
- [٦] الظرفية، وهي التي يصلح في موضعها "في" وتكون مع اسم الزمان والمكان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنْمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾^(٤) ﴿وَاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥).
- [٧] البذل، وهي التي يصلح مكانها "بذل" كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه "قد عا لي بدعوات ما يسرني بها حمر النعم"^(٦).
- [٨] المقابلة، وهي الداخلة على الأثمان والأعواض، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُونَ﴾^(٧).
- [٩] المجاوزة، وهي التي بمعنى "عن" كقوله تعالى: ﴿فَسَأَلَ بِهِ مِنْهَا خَبِيرًا﴾^(٨).
- [١٠] الاستعلاء، وهي التي تكون بمعنى "على" كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(٩).
- [١١] القسم، وهي أصل حروفه، كقول المقسم: أقسم بالله العظيم.
- [١٢] الغلية، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ فِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾^(٩).

(١) سورة البقرة الآية (٤٥).

(٢) البقرة (٥٤).

(٣) النساء (١٧٠).

(٤) الصافات (١٣٧/١٣٨).

(٥) البيهقي (٣٠٤/١).

(٦) البقرة الآية (٤١).

(٧) الفرقان الآية (٥٩).

(٨) آل عمران الآية (٧٥).

(٩) يوسف الآية (١٠٠).

[١٣] التبعيض، كقوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^(١).
 [١٤] التوكيد، وهي الزائدة، كقوله تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجُنْعِ النَّخْلَةِ لَسُقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾^{(٢)،(٣)}.

وفيما يلي أضرب مثالا لاختلاف آراء المفسرين سبب تعدد معاني الباء واحتمالها لأكثر من معنى.

المثال:

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٤).

اختلف علماء التفسير في القدر المأمور بمسحه من الرأس على أقوال:

الأول: المأمور به هو مسح كل الرأس وهو اختيار ابن العربي والقرطبي والثعالبي وابن الجوزي، وابن كثير، وأبو حيان^(٥).

الثاني: المأمور به مسح بعض الرأس ويجزئ منه أي جزء، وهو اختيار الطبري والطبرسي، والسيوطي، والبغوي، والشوكاني^(٦).

الثالث: المأمور به مسح ربع الرأس وهو اختيار الجصاص، والزمخشري، والنسفي، وأبو السعود^(٧).

(١) الإنسان الآية (٦).

(٢) سورة مريم الآية (٢٥).

(٣) انظر معاني "الباء" في مغني اللبيب (١١٠) وما بعدها جمع الجوامع مع شرحه تشنيف السامع (٥٠٥/١)، الإتيان (٥٤٦/٢)، البرهان في علوم القرآن (٢٥٢/٤).

(٤) سورة المائدة الآية (٦).

(٥) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٦٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٧/٦)، الجواهر الحسان الحسان (٤٤٧/١)، زاد الميسر (٣٠٠/٢)، تفسير القرآن العظيم (٢٥/٢)، النهر الماد لأبي حيان (٤٣٦/٣).

(٦) انظر جامع البيان (١٢٥/٦)، مجمع البيان (٢٧٣/٣)، معالم التنزيل (١٨/٢)، فتح القدير (١٧/٢).

ويرجع خلافهم في هذه المسألة إلى أسباب منها خلافهم في معنى "الباء" وذلك أنهم اختلفوا في معناها على أقوال:-

الأول: "الباء" زائدة، ويكون المعنى: وامسحوا رؤوسكم، فيجب التعميم^(٢).

الثاني: "الباء" للالصاق^(٣).

الثالث: "الباء" للتبعيض^(٤).

الرابع: "الباء" للاستعانة^(٥).

المبحث السادس

معاني "أو" عند اللغويين وأثرها عند المفسرين

تأتي "أو" في اللغة لمعاني كثيرة منها:-

[١] الشك من المتكلم كقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ

بَعْضَ يَوْمٍ ﴾^(١).

[٢] الإبهام على السامع، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ

اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢)، والشاهد في الأولى.

[٣] التخيير، وهي الواقعة بعد الطلب وقيل ما يمتنع فيه الجمع، نحو: تزوج هذا

أو أختها) فإنه يمتنع الجمع بينهما.

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٨٤)، الكشاف (١/٥٩٨)، مدارك التنزيل (١/٣٩٥)، إرشاد العقل السليم (٣/١٠).

(٢) انظر أنوار التنزيل (٣/٢٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٦/٨٧)، الجواهر الحسان (١/٤٤٧).

(٣) انظر الكشاف (١/٥٩٨)، مدارك التنزيل (١/٣٩٥)، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٥)، روح المعاني (٦/٧٢).

(٤) جامع البيان (٦/١٢٥)، أحكام القرآن للجصاص (٢/٤٨٢)، فتح القدير (٢/١٧).

(٥) البرهان للزركشي (٤/٢٥٧).

(٦) سورة الكهف الآية (١٩).

(٧) سورة سبأ الآية (٢٤).

[٤] الإبلحة، وهي الواقعة بعد الطلب وقيل ما يجوز فيه الجمع، كقولهم: "جالس الحسن أو ابن سرين".

[٥] الجمع المطلق كالواو، كقول جرير:-

جاء الخلافة أو كانت له قديراً **** كما أتى ربّه موسى على قدر

[٦] الإضراب ك"بل"، كقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴾^(١).

[٧] التقسيم، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾^(٢)، أي قال

بعضهم كونوا هوداً، وقال آخرون، كونوا نصارى.

[٨] أن تكون بمعنى إلى: كقولهم: "لألزمك أو تقضييني حقي".

[٩] التقريب، نحو: "ما أدري أسلم أو أودع" أي لسرعه^(٣).

وفيما يلي أضرب مثلاً لاختلاف آراء المفسرين بسبب تعدد معاني "أو"

واحتمالها لأكثر من معنى:

المثال:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ

ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤).

اختلف العلماء في معنى "أو" في هذه الآية على قولين:

(١) سورة الصافات الآية (١٤٧).

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٥).

(٣) انظر معاني "أو" في مغني اللبيب (٧٣)، وما بعدها، البرهان في علوم القرآن (٢٠٩/٤)، وما بعدها،

الإتقان في علوم القرآن (٥٤٠/٢)، والتي بعدها، جمع الجوامع وشرحه تشنيف المسامع (٤٩٣/١)، وما

بعدها.

(٤) المائدة الآية (٣٣).

الأول: "أو" للتخيير، وعليه فالإمام مخير في عقوبة قاطع الطريق بين هذه العقوبات الأربع، وهو قول رواه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وسعيد بن المسيب، ومجاهد وعطاء والحسن البصري وإبراهيم النخعي^(١)، واختار هذا الرأي ابن العربي والقرطبي والنحاس والواحدي وأبو حيان^(٢).

الثاني: "أو" للتفصيل، أي أن العقوبات الأربع موزعة على جرائم مختلفة، فمن قتل يقتل، ومن أخذ المال قطع من خلف، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن أخاف الطريق ولم يقتل ولم يأخذ المال نفي. وهو قول رواه الطبري عن ابن عباس وسعيد بن جبير، والنخعي، والحسن وقتادة والسدي وعطاء^(٣). وهذا اختيار الطبري والجصاص والزمخشري والبيضاوي والبعوي وابن الجوزي، والنسفي، والسيوطي، والألوسي^(٤).
وخلافهم في هذا الحكم يرجع إلى أن "أو" محتملة لكلا المعنيين في اللغة، إلا أنها حقيقة في التخيير ومجازاً في التفصيل والتقسيم، وقد أخذ أصحاب القول الأول بالحقيقة، بينما صرفها أصحاب القول الثاني إلى المجاز.

(١) انظر جامع البيان (٢١٤/٦).

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٩٨/٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٢/٦)، معاني القرآن للنحاس (٣٠١/٢)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣١٨/١)، البحر المحيط لابن حيان (٤٧٠/٣).

(٣) انظر جامع البيان (٢١١/٦) وما بعدها.

(٤) انظر جامع البيان (٢١٥/٦)، أحكام القرآن للجصاص (٥٧٦/٢)، الكشاف (٦١٥/١)، أنوار التنزيل (٢٣٨/٣)، معالم التنزيل (٤٥/٢)، زاد المسير (٣٤٥/٢)، مدارك التنزيل (٤٠٨/١)، روح المعاني (١١٩/٦).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ففي ختام هذا البحث الموسوم بـ "حروف المعاني وأثرها في التفسير" (دراسة تطبيقية لحروف "ما" و"من" و"إلى" و"الباء" و"أو").

فالناظر في هذه الحروف يجد أن لها معاني متعددة ومتنوعة ولها دلالات وأثر واضح في أقوال المفسرين وتباين آرائهم، وقد توصلت إلى أهم النتائج والتوصيات الآتية.

أولاً: أهم النتائج:

- [١] حروف المعاني بعضها يستعمل لأكثر من عشر معاني، وبعضها لأقل من ذلك.
- [٢] أن حروف المعاني لها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام في نصوص القرآن.
- [٣] أن حروف المعاني من حيث الدلالة فمنها ما يكون مستعملاً في الحقيقة ومنها ما يكون مستعملاً في المجاز وغيره.
- [٤] أن حروف المعاني ودلالاتها من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر في تفسيره.

ثانياً: التوصيات:

- [١] أوصي بالاهتمام بدراسة اللسان الذي نزل به القرآن والوقوف عند أساليبه ودلالاته.
- [٢] الاهتمام بدراسة أدوات المفسر ودلالات حروف المعاني.
- [٣] الاهتمام بدراسة طرق وأدوات الاستنباط من القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- [١] الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين للسيوطي ط ١ (١٤١٧ هـ)، بيروت.
- [٢] أحكام القرآن لأبن العربي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر، بيروت.
- [٣] أحكام القرآن لأبي بكر أحمد الجصاص، دار الفكر، بيروت.
- [٤] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٥] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دار الفكر، بيروت.
- [٦] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط ٢ (١٤١٣ هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- [٧] البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، دار المعرفة، بيروت، ط (١٣٩١ هـ).
- [٨] التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر.
- [٩] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الفكر، بيروت، (١٤٠٤ هـ).
- [١٠] جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت.
- [١١] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ط ٢ (١٣٧٢ هـ)، دار الشعب، القاهرة.
- [١٢] جمع الجوامع، عبدالوهاب بنعلي بن عبدالكافي السبكي مع شرحه تشنيف المسامع للزركشي، مؤسسة قرطبة.
- [١٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي.
- [١٤] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ط ٣ (١٤٠٤ هـ)، المكتب الإسلامي.
- [١٥] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط مصطفى البابي الحلبي.
- [١٦] شرح التلويح على التوضيح، مسعود بن عمر التقطازاني، مكتبة صبي، مصر.

- [١٧] شرح شنور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محي الدين عبد الحميد.
- [١٨] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، دار الفكر، بيروت.
- [١٩] القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق يونس البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- [٢٠] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار الكتب العلمية، (ط١٥١٤هـ).
- [٢١] لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن دار الفكر، بيروت.
- [٢٢] مجمع البيان للطبرسي، دار الفكر، بيروت ط١ (١٤١٤هـ).
- [٢٣] المجموع شرح المذهب للنووي، مطبعة المنيرة.
- [٢٤] المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، دار الكتب العلمية، ط (١٤١٣هـ).
- [٢٥] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ط١ (١٤٨٦هـ) دار النفائس.
- [٢٦] معالم التنزيل، أبو محمد الحسن البغوي، دار الفكر، بيروت (١٣٩٩هـ).
- [٢٧] معاني القرآن يحيى بن زياد الفراء، دار السرور.
- [٢٨] مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، بيروت.
- [٢٩] المغني لابن قدامة، دار إحياء التراث العربي.
- [٣٠] النهر المد، لأبي حيان الأندلسي، مطبوع مع البحر المحيط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.